مطلوب أن : تفتح المصحف لمتابعة الأفكار الرئيسية والأهداف للآيات المقدسة

١-٤	سورة الصّف : المنهج الإسلامي في الحياة، ودعوة لوحدة المؤمنين.
٥	موسى كليم الله يخاطب قومه وينصحهم بتواضعٍ كبير، وبيان بأن الزيغ يبتدأ من النفس البشرية.
٦-٩	موقف بني إسرائيل من محمد ﷺ، ونصر الله لدينه وأنبيائه.
١٠-١٤	توجيهات ربانية للمؤمنين للسعادة والفوز في الدنيا بالنصر، وبالجنة في الآخرة.

عن عبد الله بن سلام قال : قعدنا نفر من أصحاب النبي وقلنا لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله تبارك وتعالى عملناه ، فأنزل الله تعالى (سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم) إلى قوله (إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا) إلى آخر السورة .. فقرأها علينا رسول الله .

{أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون؟ كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون. إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً، كأنهم بنيان مرصوص}..

= قال علي بن طلحة عن ابن عباس قال: كان ناس من المؤمنين قبل أن يفرض الجهاد يقولون: لوددنا أن الله عز وجل دلنا على أحب الأعمال إليه، فنعمل به، فأخبر الله نبيه أن أحب الأعمال إيمان به لا شك فيه، وجهاد أهل معصيته الذين خالفوا الإيمان ولم يقروا به. فلما نزل الجهاد كره ذلك ناس من المؤمنين، وشق عليهم أمره، فقال الله سبحانه وتعالى: {يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون؟ كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون...}.. وقد اختار ابن جرير في تفسيره هذا القول.

محور مواضيع السورة :

تعني السورة بالأحكام التشريعية وهذه السورة تتحدث عن موضع القتال وجهاد أعداء الله والتضحية في سبيل الله لإعزاز دينه وإعلاء كلمته وعن التجارة الرابحة التي بها سعادة المؤمن في الدنيا والآخرة ولكن المحور الذي تدور عليه السورة هو القتال ولهذا سميت سورة الصف .

- مناسبة سورة الصف لما قبلها (الممتحنة) :

-تظهر مناسبة هذه السورة لما قبلها من وجهين:

١- نهت السورة السابقة في مطلعها وأثنائها وختامها عن موالاة الكفار من دون المؤمنين، وأمرت هذه السورة بوحدة الأمة ووقوفها صفا واحدا تجاه الأعداء.

٢- ذكرت السورة السابقة أحكام العلاقات الدولية بين المسلمين وغيرهم داخل الدولة الإسلامية وخارجها، وقت السلم،

وحرضت هذه السورة على الجهاد ورغبت فيه بسبب العدوان، وأنّبت التاركين للقتال وشبهتهم ببني إسرائيل الذين عصوا موسى عليه السلام حين ندبهم للقتال، ثم عصوا عيسى عليه السلام حين أمرهم باتباعه بعد إتيانه بالبينات والمعجزات، واتباع النبي محمد صلى الله عليه وسلم الذي بشر به.

التفسير المنير

- سورة الصف من المسبحات-

- ومنها ما بُدئ بالمضارع .

- ومنها ما بدئ بالماضي .

- ومن تأمل الفرق بينهما يجد أن ما بُدئ بالمضارع كالجمعة والتغابن هي سور إيمانية وعْظية يناسبها المضارع لأن الإيمان يتجدد شيئاً فشيئاً ..

- بينما الثلاث التي بدأت بـالماضي (سبح) هي ثلاث الحديد الحشر و الصف وكلها سور ، قوة سور قتال .

وما جاء فيها يحتاج إلى مجاهدة بليغة جداً .

- فإذا استقر التوحيد واستقر التسبيح واستقرت عظمة الله في قلب المؤمن،

فعندئذ يبدأ بما تضمنته هذه السور الثلاث ومنها سورة الصف.

= من تأمل في سورة الصف لا يذكر القتال ولا الجهاد ولا يُذكر الأمر بالنصرة إلا ويسبق ذلك بالإيمان. فذكر الإيمان في سورة الصف متلازم مع كل آية يُطلب فيها من الإنسان

أن ينتصر وأن يكون صفّاً واحداً في مواجهة العدو .

-السورة كلها قتال من أولها.

كسورة براءة وقد بدأت بقوة بالغة حتى أنها بدأت بالتعليم السلبي- بما يسمى الآن في العلم المعاصر "التعليم السلبي والتعليم الإيجابي" لأن هذه المواطن لا تحتمل الرفق لا تحتمل اللين في الخطاب ..

♦ وإنما يكون الأمر فيها جازماً حاسماً حازماً بقوة بالغة فجاء هذا الاسم (الصف) مناسباً

↩ لأن النصرة لا يمكن أن تكون إلا باجتماع الكلمة التي ظاهرها وهيأتها هي وجود الصف الواحد بين أهل الاسلام ولذلك اسمها الصفّ .

= (سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) ..

من الذين كان يسبح سابقاً أهل السماء أو أهل الأرض ؟..

قال تعالى عن الملائكة : (يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُون)

(فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ (٣٨) فصلت)

بدأ بأهل السماء لأنهم أسبق في التسبيح قبل خلق آدم ولأنهم أدوم تسبيحاً، أدوم في هذه العبادة.

لهذا بدأ الافتتاح في السورة بالسموات قبل الأرض .

= ما الحكمة من ختم الآية بالعزيز الحكيم ؟..

{ العزيز } هنا إيماء إلى أنه الغالب لعدوّه فما كان لكم أن تَرهَبُوا أعداءه فتفرّوا منهم عند اللقاء .

و { الحكيم } لأن الموصوف بالحكمة لا يأمركم بجهاد العدوّ عبثاً ولا يخليهم يغلبونكم .

ابن عاشور

= قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} هذا الخطاب للمؤمنين:

أولاً: لأنهم الذين تنفعهم الذكرى. ثانيًا: لتطهيرهم وتزكيتهم من الأخلاق السيئة.

قال القرطبي: "جاء الاستفهام على جهة الإنكار والتوبيخ، على أن يقول الإنسان عن نفسه من الخير ما لا يفعله، أما إن كان ذلك في الماضي، فإنه يكون كذبًا، وأما في المستقبل، فيكون ذلك إخلافًا بالوعد، وكلاهما مذمومٌ" .

= قال النَّخَعيُّ: "ثلاثُ آياتٍ منعتني أن أقُصَّ على الناس :

قوله: {أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ} ..

وقول شعيب: {وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ} ..

وقوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ}" .

فضائل سورة الجمعة؟

تُسَنُّ قراءتُها في الرَّكعةِ الأُولى مِن صلاةِ الجُمُعةِ:

عن ابنِ أبي رافعٍ، قال: «استخلَفَ مَروانُ أبا هُرَيرةَ على المدينةِ، وخرج إلى مكَّةَ، **فصلَّى لنا أبو هُرَيرةَ الجُمُعةَ**، فقرأ بعدَ سُورةِ الجُمُعةِ في الرَّكعةِ الآخِرةِ: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾ [المنافقون: ١] ، قال: فأدركتُ أبا هُريرةَ حينَ انصرَفَ، فقلتُ له: إنَّك قرأتَ بسُورتَينِ كان عليٌّ بنُ أبي طالبٍ يَقرأُ بهما بالكُوفةِ، فقال أبو هُرَيرةَ: **إنِّي سَمِعتُ رَسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يقرأُ بهما يومَ الجُمُعةِ**»

هذه السورة نزلت بعد فتح خيبر لأن أبا هريرة أسلم يوم خيبر .

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة قال : كنا جلوسا عند النبي فأنزلت عليه سورة الجمعة

وظاهر حديث أبي هريرة يقتضي أن هذه السورة أنزلت دفعة واحدة غير منجمة

أول أغراض سورة الجمعه ما نزلت لأجله وهو التحذير من التخلف عن صلاة الجمعة : والأمر بترك ما يشغل عنها في وقت أدائها .

وقدم لذلك : التنويه بجلال الله تعالى والتنويه بالرسول - صلى الله عليه وسلم - .

وأنه رسول تم بعثه من العرب ليكون رسول لهم ولمن سيلحق بهم.
وأن رسالته لهم فضل من الله عليهم

وفي هذا توطئة لذم اليهود لأنهم حسدوا المسلمين على تشريفهم بهذا الدين.
ومن جملة ما حسدوهم عليه ونقموه أن جعل يوم الجمعة اليوم الفاضل في الأسبوع

بعد أن كان يوم السبت وهو المعروف في تلك البلاد.
وإبطال زعمهم أنهم أولياء الله.
وتوبيخ قوم انصرفوا عن صلاة الجمعة لمجيء عير (بعير تحمل تجارة) من الشام .

وإليكم قصة مهمة عن إسلام الرجل الذي (جعله الله سببا)

و أسلم على يديه أبو هريره

قصة إسلام الطفيل بن عمرو الدوسي :

قصة الطفيل بن عمرو الدوسي الْأَزْدِيُّ - رضي الله عنه:-

كان الطفيل بن عمرو الدوسي يحدث أنه قدم مكة ورسول الله بها،

فمشى إليه رجال قريش، وكان الطفيل رجلاً شريفًا شاعرًا لبيبًا، فقالوا له: إنك قدمت بلادَنا، وهذا الرجل الذي بين أظهرنا فرَّق جماعتنا، وشتَّت أمرنا، وإنَّما قوله كالسحر يُفرِّق بين المرء وبين أبيه، وبين الرجل وبين أخيه، وبين الرجل وبين زوجته، وأنَّا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا، فلا تكلمنه ولا تسمعن منه، قال: فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت ألا أسمع منه شيئًا ولا أكلمه، حتى حشوت في أذني حين غدوت إلى المسجد كرسفًا؛ فَرَقًا من أن يبلغني شيء من قوله.

قال: فغدوت إلى المسجد، فإذا رسولُ الله قائم يُصلي عند الكعبة، فقمت قريبًا منه،

فأبى الله (معناها : رفض الله) إلا أن يُسمعني بعضَ قوله، فسمعت كلامًا حسنًا،

فقلت في نفسي: واثكل أماه، والله إني لرجل لبيب شاعر ما يَخفى عليَّ الحسن من القبيح،

فما يَمنعني من أن أسمع من هذا الرجل ما يقول، فإن كان الذي يأتي به حسنًا قبلت،

وإن كان قبيحًا تركت، قال: فمكثت حتى انصرف رسول الله إلى بيته،

فتبعته حتى إذا دخل بيته دخلت عليه، فقلت: يا محمد، إنَّ قومك قد قالوا لي كذا وكذا،

فوالله ما برحوا يُخوِّفوني أمرَك حتى سددت أذني بكرسف؛ لئلا أسمع قولك،

ثم أبى الله - عزَّ وجلَّ - إلا أن يُسمعنيه، فسمعت قولاً حسنًا، فاعرض عليَّ أمرك،

قال: فعرض رسول الله عليَّ الإسلام، وتلا عليَّ القرآن،

فلا والله ما سمعت قولاً قط أحسنَ منه، ولا أمرًا أعدل منه،

فأسلمت وشهدت شهادة الحق

وقلت: يا نبيَّ الله، إني امرؤ مطاعٌ في قومي، وإني راجعٌ إليهم فداعيهم إلى الإسلام،

فادعُ الله أن يجعل لي آية تكون لي عونًا عليهم فيما أدعوهم إليه،

فقال: ((اللهم اجعل له آيةً)).

قال: فخرجت إلى قومي حتى إذا كنتُ بثَنِيَّةٍ يقال لها: كذا وكذا، تطلعُني على الحاضر،

وَقَعَ نورٌ بين عيني مثل المصباح، قال:

قلت: اللهم في غير وجهي،

إنِّي أخشى أن يظنوا أنها مُثلة وقعت في وجهي لفراق دينهم،

قال: فتحول فوقع في رأس سوطي كالقنديل المعلق،

وأنا أهبط إليهم من الثنية،

حتى جئتهم فأصبحت فيهم، فلما نزلت أتاني أبي وكان شيخًا كبيرًا

فقلت: إليك عني يا أبتِ، فلستُ منك ولستَ مني،

قال: لِمَ يا بُنَيَّ؟ قلت: أسلمت وتابعتُ دينَ محمد،

قال: يا بني فديني دينك، قال: قلت: فاذهب يا أبتِ، فاغتسل وطهِّر ثيابَك،

ثم تعالَ حتى أعلمَك ما علمت، قال: فذهب فاغتسل وطهَّر ثيابَه

، ثم جاء فعرضت عليه الإسلام فأسلم،

ثم أَتَتْنِي **صاحبتي (الزوجه)**، فقلت لها: إليك عني، فلست منك ولست مني،

قالت: لِمَ بأبي أنت وأمي؟

قلت: فرَّق الإسلام بيني وبينك؛ أسلمتُ وتابعتُ دينَ محمد، قالت: فديني دينك،

قال: قلت: فاذهبي إلى حِنَى ذي الشرى فتطهري منه،

وكان ذو الشرى صنمًا لدَوْس، وكان الحنى حِمى حوله، وبه وَشَلٌ من ماء يهبط من جبل إليه، قالت: بأبي وأمي، أتخشى على الصبيَّة من ذي الشرى شيئًا،

قال: قلت: لا أنا ضامنٌ لك، قال:

فذهبتْ واغتسلتْ، ثم جاءت فعرضت عليها الإسلام فأسلمت،

ثم دعوت دَوْسًا إلى الإسلام فأبطؤوا عليَّ،

فجئت رسولَ الله، فقلت: يا نبي الله، إنه قد غلبني على دوس الزِّنا،

فادعُ الله عليهم، فقال: ((اللهم اهْدِ دوسًا))، ثم قال:

((ارجع إلى قومك، فادعهم إلى الله، وارفق بهم))، فرجعت إليهم،

فلم أزل بأرض دوس أدعوهم إلى الله، ثم قدمت على رسولِ الله بمن أسلم معي من قومي، ورسول الله بخيبر، فنزلت المدينة بسبعين أو ثمانين بيتًا من دوس،

ثم لحقنا برسول الله بخيبر، [قال: قلنا: يا رسولَ الله، اجعلنا ميمنتك،

واجعل شعارنا "يا مبرور"،

ففعل صلى الله عليه]، فأسهم لنا مع المسلمين.

ومما يؤكد على سبق إسلام أبي هريرة واستجابته للطفيل رضي الله عنه ما يلي:

أخرج أحمد في فضائل الصَّحابة بسنده عن أبي هريرة قال: قدم الطفيل بن عمرو الدوسي وأصحابه على رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فقالوا: يا رسول الله،

إنَّ دَوْسًا قد عصت وأبت، فادع الله عليها،

قال أبو هريرة: فرفع رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يديه،

فقلت: هلكت دوس،

فقال: ((اللهم اهْدِ دوسًا و ائت بهم))

وهذا يدل على أن أبا هريرة كان مع الطفيل في مجيئه للنبي صلَّى الله عليه وسلَّم وفيه دلالة قاطعة على تقدُّم إسلامه.

تأكيد الحافظ ابن حجر العسقلاني في الإصابة على ذلك،

فقال: عن الطفيل رضي الله عنه: "فدعا أبويه إلى الإسلام، فأسلم أبوه ولم تسلم أمه،

ودعا قومه فأجابه أبو هريرة وحدَه، ثم أتى النبي صلَّى الله عليه وسلَّم

فقال: هل لك في حصن حصين ومنعة يعني أرض دوس

قال: (حصن كان لدوس في الجاهلية)، فأبى ذلك النبي صلَّى الله عليه وسلَّم للذي ذخر الله للأنصار

واستمر الطفيل يدعو، ويجاهد،وكان قد باع نفسه لله، حتى قتل في اليمامة شهيداً

١-٤	سورة المنافقون : ملامح الشخصية المنافقة، فالمنافق يكذب حتى عندما يقول الصدق.
٥-٨	مقالات المنافقين، وافتراءاتهم ضد النبي ﷺ وعاقبتهم، وتقدير الله تعالى تابع لعلمه جل وعلابما سيكون من خلقه، واختيار المنافق تابع للكبر الذي يربيه في نفسه.
٩-١١	غاية المؤمن في الحياة استجابة لنداء الله تعالى، والحياة الدنيا هي متاع زائل.

نزلت في غزوة بني المصطلق، وقبل سورة الأحزاب.

وفي "جامع الترمذي "عن محمد بن كعب القرظي

(أنها نزلت في غزوة تبوك) وفيه أيضاً عن سفيان :أن ذلك في غزوة بني المصطلق، وغزوة بني المصطلق سنة خمس، وغزوة تبوك سنة تسع. ورجح أهل المغازي والسير، وابن العربي، وابن كثير أنها نزلت في غزوة بني المصطلق، قال ابن عاشور" :وهو الأظهر؛

لأن قول عبد الله بن أبي ابن سلول} :ليخرجن الأعز منها الأذل { المنافقون:٨) يناسب الوقت الذي لم يضعف فيه شأن المنافقين، وكان أمرهم كل يوم في ضعف،

وكانت غزوة تبوك في آخر سني النبوة، وقد ضعف أمر المنافقين". والسورة مدنية بالاتفاق. وعدد آياتها إحدى عشرة آية.

تسميتها

سميت هذه السورة في كتب السنة، وكتب التفسير (سورة المنافقين) اعتباراً بذكر أحوالهم وصفاتهم فيها. ووقع هذا الاسم في حديث زيد

بن أرقم عند الترمذي قوله: (فلما أصبحنا، قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة المنافقين).

وروى الطبراني في "المعجم الأوسط" عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال:

(كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في صلاة الجمعة بسورة الجمعة، فيحرض بها المؤمنين، وفي الركعة الثانية بسورة المنافقين، فيقرع بها المنافقين).

صلتها بما قبلها

جاءت هذه السورة بعد سورة الجمعة التي ذُكر فيها المؤمنون؛ لأنها تحكي أحوال المنافقين الذين هم أعداء المؤمنين، أخرج سعيد بن منصور، والطبراني في "المعجم الأوسط" بسند حسن عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في صلاة الجمعة سورة الجمعة، فيحرض بها المؤمنين،

وفي الثانية سورة المنافقون، فيقرع بها المنافقين).

وقال أبو حيان في مجيئها بعدها: لما كان سبب الانفضاض عن سماع الخطبة ربما كان حاصلاً من المنافقين، واتبعهم ناس كثير من المؤمنين في ذلك؛ لسرورهم بالعير التي قدمت بالميرة،

إذ كان الوقت وقت مجاعة، جاء ذكر المنافقين وما هم عليه من كراهة أهل الإيمان، وأتبع قبائح أفعالهم بقبائح أقوالهم.

١-٤	سورة التغابن : تعظيم الله تعالى وإظهار قدرته ، وإحكام خلق البشر .
٥-٦	عقوبة ومقالات الكافرين ، وخسارتهم يوم القيامة .
٧-١٠	منهاج المسلم العملي بالإيمان بالله وبرسوله ﷺ ،وفوزهم يوم القيامة .
١١-١٣	الإيمان بقدر الله من أهم أركان الإيمان ، وأمر بطاعة الله ورسوله ﷺ .
١٤-١٨	تحذير من العداوة، وطبيعةُ الحياة الدنيا وما فيها من ابتلاء، ودعوة للإنفاق في سبيل الله .

التغابن ومعناها في اللغة: البيع بثمن كبير أو فاحش،

أو الشراء بثمن قليل يبخس السلعة قيمتها الحقيقية،

كأن يبيع ما يساوي خمسة بثلاثة، أو يشتري ما قيمته ثلاثة بخمسة.

أن يبيع اهل النار الأخرة والجنة من أجل الدنيا أو شراء الدنيا وترك الآخرة

ووجه التسمية وقوع لفظ (التغابن) في قوله سبحانه من السورة

يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن) {التغابن:٩) ولم يقع في غيرها من القرآن.

وتغابن الناس أي تسابقهم في الفوز والحصول على أعلى الدرجات كما يحصل عند السبق في التجارة، فيرى من هو اعلى منه منزله بأنه غبنه في السبق إلى الربح العظيم المضاعف،

أو حصل على المنزلة العالية بالإكثار في العمل الصالح والسبق في الخيرات، ويرى أهل النار أن أهل الجنة غبنوهم بالمبادرة إليها بينما

أصحاب النار غافلون قد غرتهم الحياة الدنيا واطمأنوا بها مفضلينها جهلاً على الآخرة حتى خسروا كلّ شيء.

مناسبتها لما قبلها

أن الله سبحانه ذكر في سورة المنافقين التي قبلها حال المنافقين،

وكذبهم في أيمانهم، واستكبارهم على الله ورسوله، وتهديدهم المؤمنين بمنع الإنفاق عليهم، وإخراجهم من المدينة وفي هذه السورة قسَّم الناس إلى مؤمن وكافر، وأيضاً فقد جاء في سورة (المنافقون) قوله تعالى

يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله) {التغابن:٩)
وذكر هنا قوله تعالى إنما أموالكم وأولادكم فتنة) {التغابن:١٥) فجاءت هذه الآية الأخيرة كالتعليل للآية السابقة؛ فالمناسبة بين السورتين والارتباط بينهما واضح وبين.

سبب نزولها

ورد في السورة قوله عز وجل

يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم) {التغابن:١٤)

وقد روى الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما (أن تلك الآيات نزلت في رجال أسلموا من أهل مكة، وأرادوا أن يأتوا النبي صلى الله عليه وسلم، فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوهم أن يأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم) قال الترمذي :هذا حديث حسن صحيح، وحسَّنه الشيخ الألباني.

مقصد السورة:

التنبيه على حقيقة أن الناس مجموعون إلى يوم الجمع والتغابن،

والدعوة إلى الإيمان بالله ورسوله والنور الذي أنزل، والأمر بالعمل الصالح والاستعداد ليوم الحساب والتغابن، والتحذير من الكفر والتكذيب، والاستغناء بالدنيا عن المصير في الآخرة.

تناسب وتناسق السورة مع غيرها من السور:

هذه السورة هي آخر المسبّحات الخمسة: الحديد، الحشر، الصف، الجمعة، التغابن، وهي كلّها مدنيّة؛ تبدأ الآية الأولى في كلٍّ منها بتسبيح الكون لله، أي إبعاده عن السوء وتنزيهه عما لا يليق بجلاله

وتنتهي بأن الله {الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} عزيز في ملكه حكيم في تصريف شؤونه، ماعدا التغابن تنتهي بأنه {لَهُ الْمُلْكُ} والقدرة والتصرّف والتقدير،

{وَلَهُ الْحَمْدُ} على ما أنعم من خير ورزق وهداية،

{وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١)} وذلك لجمعه الناس في يوم التغابن.

ولمّا سمّيت "التغابن" وهو من أسماء القيامة،

ويعني: البيع بثمن كبير أو فاحش، أو الشراء بثمن قليل يبخس السلعة قيمتها الحقيقية، وهو من التغابن في التجارة،

ولا غبن يوم القيامة أعظم من أن يدخل هؤلاء إلى الجنّة، ويذهب بأولئك إلى النار. وهي الوحيدة التي ذكر فيها التغابن،

يتوسطها (الآيتين ٩، ١٠)، وثماني آيات قبلها تبين أن كل المخلوقات تطيع الله ما عدا الإنسان فهو مخيّر، وأن جميع الأمم هلكت بسبب كفرها، وثماني آيات بعدها فيها أمر المؤمنين بالطاعة وتحذيرهم من الاغترار بالدنيا، وأن جميع أعمالهم وتجارتهم مع الله هي تجارة وقرض رابح

{إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ (١٧)}.

وهذا هو مقصود السور المسبحة: ففي الحديد قال تعالى:

{مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ (١١)}،
{وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ (١٨)}؛

وفي الحشر: قصّة إخراج الظالمين من ديارهم وأخذ أموالهم والإفاءة بها على المؤمنين ثم عذابهم في النار؛ وفي الصف:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠)}؛
وفي الجمعة: {وَذَرُوا الْبَيْعَ (٩)}،

{قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ (١١)}.

قال الإمام جلال الدين السيوطي: لما وقع في آخر سورة المنافقون:
{وأَنفِقوا ممّا رَزقناكُم مِن قبلِ أَن يأتي أَحدكُم الموت (١٠)}

عقب بسورة التغابن لأنه قيل في معناه:

إن الإنسان يأتي يوم القيامة وقد جمع مالاً ولم يعمل فيه خيراً

فأخذه وارثه بسهولة من غير مشقة في جمعه

فأنفقه في وجوه الخير فالجامع محاسب معذب مع تعبه في جمعه

والوارث منعَّم مثاب مع سهولة وصوله إليه

وذلك هو التغابن

فارتباطه بآخر السورة المذكورة في غاية الوضوح

ولهذا قال هنا: {وأَنفِقوا خيراً لأَنفُسكُم ومَن (١٦)}

وأيضاً ففي آخر تلك: {لا تُلهِكُم أَموالِكُم وَلا أَولادكُم عَن ذكر اللهِ (٩)}

وفي هذه: {إِنَّما أَموالكُم وأَولادكم فتنة (١٥)}

وهذه الجملة كالتعليل لتلك الجملة ولذا ذكرت على ترتيبها

وقال بعضهم: لما كانت سورة المنافقون رأس ثلاث وستين سورة أشير فيها إلى وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: {ولَن يؤخِر اللهُ نفساً إذا جاءَ أَجَلُها (١١)} فانه مات على رأس ثلاث وستين سنة وعقبها بالتغابن ليظهر التغابن في فقده صلى الله عليه وسلم.

وقال الإمام أبو جعفر بن الزبير:

لما بسط في السورتين قبل من حال من حمل التوراة من بني إسرائيل

ثم لم يحملها،

وحال المنافقين المتظاهرين بالإسلام، وقلوبهم كفرا وعناداً متكاثفة الإظلام، وبين خروج الطائفتين عن سواء السبيل المستقيم،

وتنكبهم عن هدى الدين القويم، وأوهم ذكر اتصافهم بمتحد أوصافهم خصوصهم في الكفر بوسم الانفراد وسماً ينبئ عن عظيم ذلك الإبعاد،

سوى ما تناول غيرهم من أحزاب الكفار،

فأنبأ تعالى عن أن الخلق بجملتهم وإن تشعبت الفرق وافترقت الطرق راجعون بحكم السوابق إلى طريقين فقال تعالى

{هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن (٢)} التغابن،

وقد أوضحنا الدلائل أن المؤمنين على درجات،

وأهل الكفر ذو طبقات،

وأهل النفاق أدونهم حالاً وأسوأهم كفراً وضلالاً

{إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار (١٤٥)} النساء،

وافتتحت السورة بالتنزيه لعظيم مرتكب المنافقين في جهلهم

ولو لم تنطو سورة المنافقين من عظيم مرتكبهم إلا على ما حكاه تعالى من قولهم {لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل (٨)} المنافقين، وقد أشار قوله تعالى {يعلم ما في السماوات وما في الأرض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور (٤)} التغابن،

إلى ما قبله وبعده من الآيات إلى سوء جهل المنافقين وعظيم حرمانهم في قولهم بألسنتهم مما لم تنطو عليه قلوبهم {والله يشهد أن المنافقون لكاذبون (١)} المنافقين، واتخاذهم أيمانهم جنة وصدهم عن سبيل الله إلى ما وصفهم سبحانه به، فافتتح سبحانه وتعالى سورة التغابن بتنزيهه عما توهموه من مرتكباتهم التي لا تخفى عليه سبحانه

{ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم (٧٨)} التوبة، ثم قال تعالى: {ويعلم ما تسرون وما تعلنون (٤)} التغابن،

فقرع ووبخ في عدة آيات

ثم أشار إلى ما منعهم من تأمل الآيات، وصدهم عن اعتبار المعجزات،

وأنه الكبر المهلك غيرهم، فقال تعالى مخبراً عن سلفهم في هذا المرتكب، ممن أعقبه ذلك أليم العذاب وسوء المنقلب {ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا أبشر يهدوننا فكفروا وتولوا (٦)} التغابن، ثم تناسج الكلام معرفاً بمآلهم الأخروي

ومآل غيرهم إلى قوله {وبئس المصير (١٠)} التغابن.